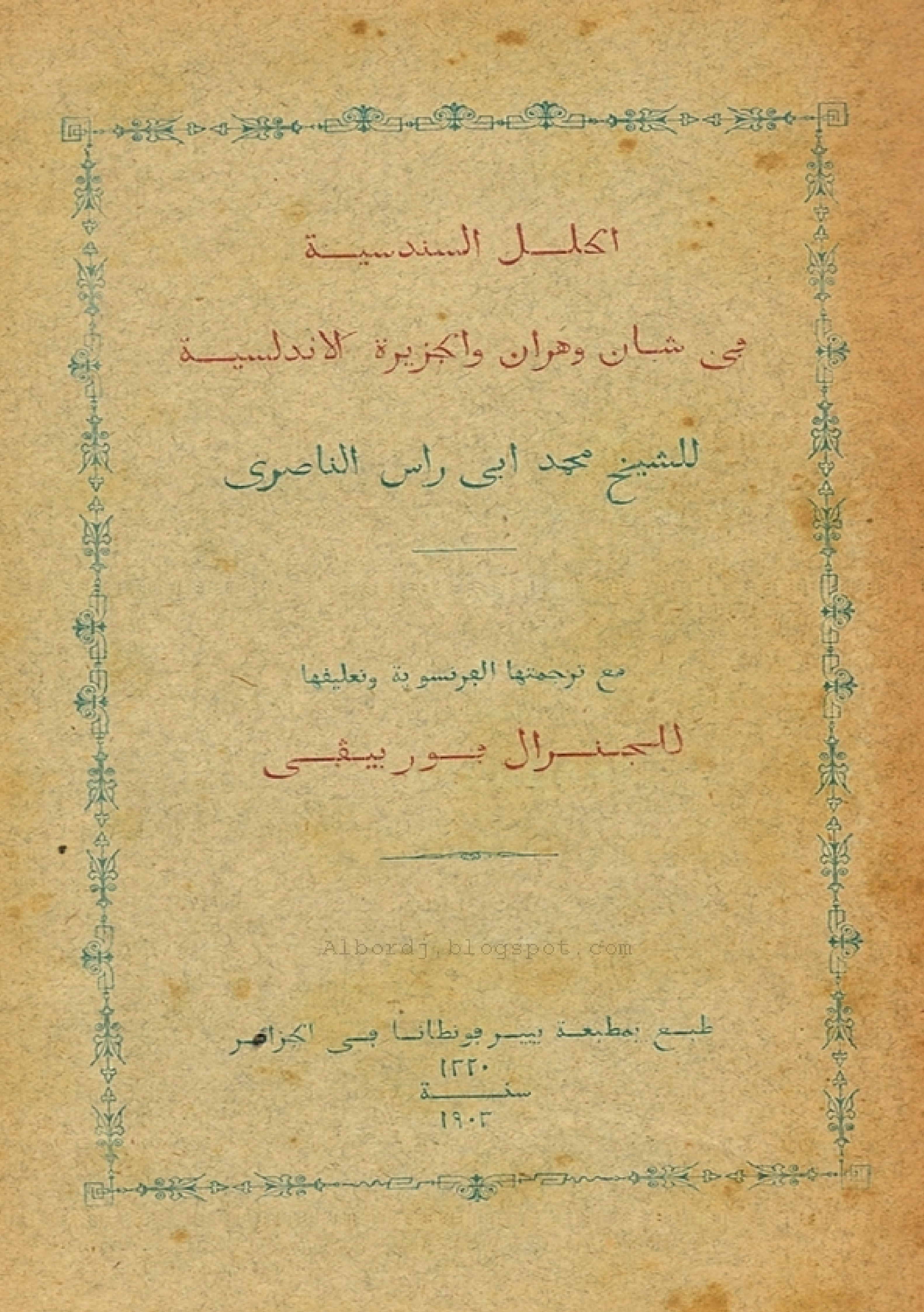


الحلل السندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

للشيخ محمد ابى راس الناصرى

مع ترجمتها الفرنسوية وتعليقها

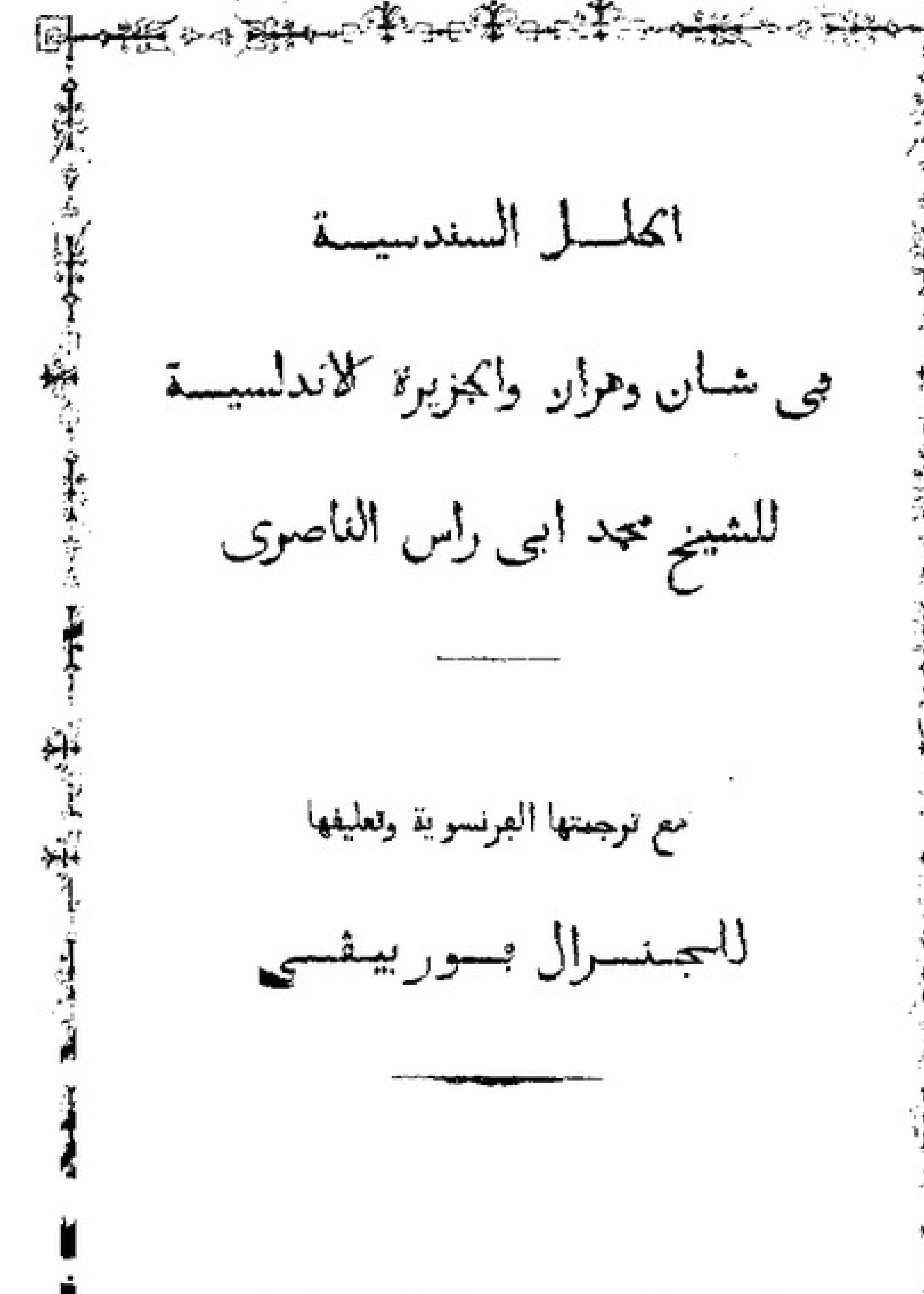
للجنرال بوربيقى

طبع بمطبعة بيير فونطانا في الجزائر

١٣٢٠

سنة

١٩٠٣



الحلل السندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

للشيخ محمد ابى راس الناصرى

مع ترجمتها الفرنسوية وتعليقها

للجنرال فوربيقى

طبع بمطبعة بيير فونطانا في الجزائر

١٣٢٠

سنة

١٩٠٢

الحلل السندسية

في شان وهران والجزيرة الاندلسية

١ طيب الرياح جميع ارض الله جسى
وبشرى البكم مع الجن والانس

٢ المشرق الاقصى مع اقصى مغربنا
والجوف والصد والاشجار والاودس

٣ طوامي الابحر واهل جزائرها
بفتح وهران دار الشرك والومس

٤ وحدثيهم بويلات لنا سلفت
فطال ما رمت الاسلام بالتعس

٥ بـرد رتبنـا الكرّة عليهـا لنـا

فضينا دينا منها فد كان فى تنـس

٦ بجهبـذ شـمـر للحـرب ميزارا

بحلل النصـر ومرتـدى بالرجـس

٧ بكت عن جانب طـرق عوافبهـا

لم يستشـر لا السيف وفنا الدعـس

٨ هـو محمـد الباى لا ر انجـد مـن

علا على مفـرق الجـوزآ والخنـس

٩ لم ينثنـى عن رجآ غيـر مبتسـم

حتـى يزاولـه بالسيف والفـرس

١٠ فاد المفـانـب للجهاد رايـدهـا

يبغى كفـاح ذوى التثليث والنفـس

١١ جنـد عـرمـرم لا شـي . يـفـوم لـه

يضيق عنه فضا الافـلاك والمبـس

Vers 6. — Les copistes écrivent مـتـزرا qui est préférable pour le mètre ; mais Bou-Ras confirme dans le commentaire B l'orthographe de ميزارا qui est un substantif.

١٢ حتى اقام على ارباض وهران لا
تحصى عساكره بالعد والحدس

١٣ من كل قرم الى لحم العدا قرم
ليس بذي جرق منهم ولا بنس

١٤ بالصقر لم يقس بالخرْب المصيد له
ولا يقاس طويل الباع بالاحجس

١٥ ملا هنيا له التمكين ساحتها
سلاهبا تعدو في الاوعر كالوعس

١٦ وقام فيها بامر الله منتصرا
كالصرام اهتز او كجود منبجس

١٧ بنتها مغراوة باذن مواليهم
الامويين امرا الاندلس

١٨ ثالث قرن خزر منهم قد اسسها
وملكهم في غاية العزوالشمس

Vers 14. — Le mot خرب a reçu un djezm à cause de de la mesure du vers. Comm. B. — الاحجس synonyme de قصير Comm. B et C.

١٩ سنة ست من رابع ازاحهم

من ذلك الثغر ازداجة مع عجس

٢٠ ثم ازالهم ايضا يوسف وعلي

كما ازالهم قبل عن ارض فاس

٢١ موحدون اتوا من بعد ذا وعلوا

استحوذوا عليها في وسط السادس

٢٢ كانت من احسن مَعْقِل عمالتهم

وامتنعت عن اخرهم ابي دبس

٢٣ ثمت ال زيان سلك ملكهم

قد دخلت واشتد لهم الى دلس

٢٤ في وقتهم كان قطبها وعالمها

مُحمد ذو المقدار القدم الحجس

٢٥ خلفه من بعد موته تلميذه

ابراهيم الذي كان يسمو برجس

VERS 23. — On écrit quelquefois ثُمَّتْ au lieu de ثُمَّ mais Bou-Ras a écrit ثُمَّتْ pour faire trois syllabes. Comm. C.

٢٦ واتت له لما جي اهل مشرقنا

بل اقصى ذاك كامل طوس مع قومس

٢٧ جلب ماء اليه فيه منبعة

لذلك الشغر بابدع مقتبس

٢٨ ثامن قرن قد امرها المريني ابو

حسن تمت بيعة طرابلس

٢٩ بنا بها الاحمر وبها كل بناء

ثم بنا الثاني حذو سجن المرس

٣٠ خامس عشر من عشر اناخ بها

الاشبانيون اهل الشرك والرجس

٣١ حجابل الكبر قد حموا جوانبها

وعسن دفاعهم عجز ابو قلمس

٣٢ وشاد ذمن ببطحتيها مجتنبا

على الايمان فلم يبل بمعترس

٣٣ ورج ارجاءها لما احاط بها

وابدلت شم اعلامها بالعطس

٣٤ وشحنت بخنزيرهم وصلبانهم

مواضع لايمان بها ذو تـوس

٣٥ كم تليت بها من اية محكمة

فبعد طهرها قد مليت بالنجس

٣٦ كانها ما حوت شمسا ولا قمرا

لم يدر في الناس والعالي في الندس

نظير ما فعل نجل بملطية

عقب بالذل والصغار والوكس

٣٧ خلا له الجو فامتدت يداه الى

ادراك ما لم تنل رجلاه مختلس

٣٨ عمرها بعدنا بخبيث ملته

شناطيط كالبعافرة والتيس

٣٩ وسار سيرته فينا من اعقبه

وكلهم مقتفي ارغون وافرانس

٤٠ في اخذهم سردانية ودانية

بلرم مازرة جزر جاليا نس

VERS 40. — Bou Ras écrit toujours جبلدم ; voir la note de la traduction.

٤١ فطان كوطجان تم بلنسية

مرية معتصم بها وبطليس

٤٢ لوشة بلشة وزد لها بسطة

وشنتريں اشترى منا بالبخس

يابسة يبست وادمتها شثنت

واذهب الكفر ما بها من ملس

٤٣ مرقنا من يابسة مع ميورقة

يا ليتنا بجي ءات لها من فابس

بجانة وواد الحجار قد حجروا

عن الغسانية والتى كابن اس

٤٤ طريفة دمير الردى تملكها

بلم تدم لابن ابطس ولا ابطس

٤٥ اما على حمص الحسنا وقرطبة

صارت بها اضرجة الفصل في طمس

Vers 41. — فطان pour فطلان Comm. B.

Vers 43. — Il semblerait tout naturel d'employer ci-dessus le verbe فرقنا qui donne un sens très naturel. Mais Bou-Ras a employé مرقنا *nous nous sommes écartés comme une flèche qui manque le but* ; il l'explique dans son Commentaire. C'est évidemment pour jouer sur le radical مرق qui se trouve dans ميورقة

كان لم يصرخ قاسم في رصيفتها

زاد اكتئاب اليها رصفا في النفس

٤٦ بياش قمرش أبدّ ثم طرطوشة

اشبون ابراغ وفرمون مع قادس

شدونة مدرور بطشانية

بلكونة قرطش عين الدين في خنس

٤٧ الخضراء الحمراء وقورة عقبانية

وجبل الفتح قد صار للانجلس

٤٨ وواد آش ونهر لوك قد مُنيا

فتلا وسبيا و ششتر واندريس

طغارش بطرزج يا بئس ما فعلا

ككورة اشكونية وبجانس

٤٩ قد قرّ ابن مالك من جيانته

كذا علي وقر نحوى الخمس

٥٠ واين ملك بني عباد يا اسفي

كانوا يظنون ان ليس بمندرس

واين نجل زيدون ومصيصهم
واين نجل عمار كابى نواس

٥١ من بعد غلبنا بارك وزلافة
وغير موطن مرنا بعد في التعس

٥٢ مذ غاب يوسف و يعقوب اجترت
عنا زعنيف جليفة واكيس
رميمة وبرطانية ثم اليجة
بعصب برشترة لجند اردملس

٥٣ لترجالة وجلمانية انبسطت
يد جليفة بعد القبض من خبس

٥٤ من لى بغزوة تجلى الكرب يا اسفى
كغزوة النصرى الناصر المرينى او حبس
صلاح اصلح الدين من فذاذته
ونوره شجو في حلق اجرنس

٥٥ ما لست ملوكنا بخصيص رحلتهم
واكلونا كاكل الداجن العلس

٥٦ واعرضوا عن جهاد الكفر باطنة

حتى ارتمت مصرنا العظمى بمرموس

٥٧ يا ليت جند كجند العابدي لنا

لا يحصى من ذا يعد وثبة العدس

فيا لابرار نجار وجونا

ورولة وارجون مع باجة اندلس

٥٨ كانت جزيرة الاندلس طيبة

عادت بغدر العواق افبح الضبس

٥٩ وركدت ريح النصر في مواطنها

لما جرى بين املاكها من شخس

٦٠ عدة احقاب وهم في منافسة

لذا تعدى ملوك الصغر اندلس

٦١ بموت نجل ابي زيد واضرابه

وفتى تامر اجتروا كالشمس

٦٢ يا حسرة لمعالم الايمان بها

فصارت مدنه كسنة الكبس

٦٣ اخـذ منـا رونـدة مـالَـطـة
زعانيجُ الوثن ذو و الفبح والجعس

٦٤ زاهـرة والـزهـراً ـرد سرفـسـطـة
فسطـلـة و ربـاح آل الـبـخـس

٦٥ ودمـر البنـش تـدمـر ومرسـيـة
ذافت مُذاق ذي اللام من اهل البوس

سجونة شجوها شجى الايمان بهـا
فلالشى افليش وشغة والبير بى الركس

٦٦ طليطلـة هـي باكـورة فتحـهـم
مـن الهـوارى رجعـت لادبـنـس

٦٧ اخر ذلـك غرنـاطـة حـل بـهـا
ما لافت شفـرة من الويل والركـس

VERS 63. — Le Com. C indique la prononciation مالَطـة nécessaire pour le mètre. Néanmoins cet hémistiche est incomplet. Il l'est également dans B où on lit : اخـذوا رونـدة لبُـلى ومالَطـة . Il faudrait probablement combiner les deux et lire :

اخـذ منـا رونـدة لبُـلى ومالَطـة

٦٨ من بعد عز بني نصر ومواقفها

طاغية ينظرهم نظر الشوس

بلا بلاى وبلا تفش اليه بلا

اربول بلبونة وفصره فى البلس

٦٩ يا شو ما جنت بفعة العقاب

بها سامت عواصب فطر اندلس

٧٠ طريقة اطرفتهم بما اوهننا

بد الجزيرة صارت منا فى ابس

٧١ كانما ما تفضت بسهيلٍ لنا

وسهلة بالمام شهى اللعس

كانما ما تفضت بالعذيب لنا

بمعسول اللما راق شهى اللعس

٧٢ ولا قضينا على اكناف شاطبة

بوصل سلمى زمنا غير منعبس

ولا قضينا على اطراف كاظمة

بوصل سلمى زمنا غير منعبس

٧٣ ولا سحبنا على واد شريش دما

من منحر الدن اذ يجي ويرتمس

ولا سحبنا على واد بن الخير دما

من منحر الدن اذ يجي ويرتمس

٧٤ ولا شادت غير بنادي وشتالة

كان في اجفانها سنة النعس

٧٥ اجبل بيننا وبين جزيرتنا

وسدت ابواب غزوها المُلتمس

٧٦ ولا عدت جياد بحمص بليينا

واندرشنا من التوحيد مندرس

ولم نعمّر نواد بفرفشون لنا

تدير غلمانها عليهم بالكوس

ولم يدرس عمر بشلبونتنا

بالنحو صار بها في غاية الدرس

فخربت ما ذكر لنا فشتالة

وشاليسب وسمورة ذوو الومس

٧٧ كانها لم تكن طوع بقصتنا

ورسبنا فد فلاتيرة واندرس

برشانة فسلها عن صنع بركشنا
وهاهم فتيان فتيانه فى البخس

٧٦ فاهم الى الان بسبتة بعدوتنا
ومليلة ونكور مع بادس

٧٦ وما سوى ذلك مما اخذوه لنا
ككادر وما حوله من المرس

٨٠ محمد وابنه رداه فاطمة
وطهرت به منهم ارض سوس

٨١ وبسفيان احزى بالمخارى لقد
من ابى مروان ابتلى بالتعس

٨٢ عرائش وطنجة ثم مهدية
برنجة اخذتنا من ادابرفس

٨٣ بحرب اسماعيل ثم جرها حافده
وكسعت بسبتة اضواء الشمس

٨٤ وفيض الله لاتراك بمزغنه
حرب وهران دار الشرك والالس

فزاها الباشا ابن خير الدين اولهم

وبرج مرساها قد رماه بالتعجس

٨٥ اتاها باشا ابراهيم وسط حماد

من القرون من بعد الف للوطس

٨٦ قام بالمائدة حيث يزاولها

ثم فعى درجه من فتحها ابس

٨٧ اخره شعبان الزناكي حاصرها

بامتنعت وشمست ايما شمس

٨٨ اوطى العليقي الجرار لاراضها

به همت دموعهم ومن زكى وخس

٨٩ دارت حروب عظام بينهم قد اتى

اخر امرها باستشهاده النفس

٩٠ وبعد الف ومائة في نفطيب

جهر اسماعيل لها اقاصي سوس

Vers 88. — اوطى dans les deux manuscrits C et B, mais la mesure du vers exigerait أَوْطَأَ.

٩١ واهـل تمسنـي الى اهـل ملويـة
وجـدة ومعقـل وبـنـي يـزنـس

٩٢ فحط كلكله حولها معتزما
على النزال ولم يجد محل بس

٩٣ فـام بهيدور ايـامـا يحتـال لهـا
فد استعـان بمـا حولهـا من مخس

٩٤ اعيتـه حيلتـهـا حـزمـا ومنعتـهـا
عقـاب جو فد ارتفى عـن الحرس

٩٥ بفال هـذه ابعى تحت صخرتـهـا
تضر لا الضر يانـي لها مـن انـس

٩٦ فد حلفت بجروس مـن غير غافلـة
بل يسمعون حسيس كالاتى كالكنس

٩٧ لـمـا اراد الله عـوذ كالايمـان لـهـا
اقـام بالجزائـر مذهـب الـدمـس

٩١ محمـد باكداش اضحـى باشتنـا
فد باق كالاكفا في الدهـا والدعـس

٩٩ جهزا جعنا بالاتراك مشحنة

في شرقها نزلوا في برها اليبس

١٠٠ مدافعا وعرادات اتانا بها

اضحى لذلك حزب الكفر منبئس

١٠١ بكل حيس أزن حسن بزاولها

وفائق مصطفى ذو الباس والعرس

١٠٢ ففتحت عنوة في تسع عاشرة

من بعد سكنى ره والدين في وكس

١٠٣ عاقبة الغدر للبوار قد قررت

سنة ربنا قد سنها في جدس

١٠٤ اضحت مرتع امن للانام وقد

كانت بها طيبات الانس في دنس

١٠٥ قدمه بعد عشر استقل بها

بغاية حددت كالعدو للعرس

١٠٦ حكم للاله كما قد ترى قدره

لو شآ ما ملكوها عشر النفس

١٠٧ من بعد عشر وعشر ثم اربعة
عادوا اليها فرة عين التعس

١٠٨ وملكوها بلا كبير ملحمة
لاكن في الاولى بخدعة منحيس

١٠٩ وبمرة ابتاعوها غير غالية
كيف يباع ثغر وهران بالبخس

١١٠ اتوها طوربن انتقدوها عامرة
وعد عليها اليهم غير منخنس

١١١ خلا لها الجو صرفا واطمانوا بها
وقد تجلت للكفر جلوة العرس

١١٢ يا له من ثغر اضحى اهله جزرا
للنائبات والجد منه في التعس

١١٣ مدينة العلم والايمان حل بها
ما حل بالحصن من الخبس والخُبس

١١٤ من كل شارفة الاسلام بارفة
مأتمها عاد للاعداء كالعرس

١١٥ تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم

غر عقايلها المحجوبة النفس

١١٦ كانت حدائق للاحداق مونقة

فصوح النضر في الادواح بالنحس

١١٧ من محاسنها طغى اليح لها

اكتحل بالسهر لها مكثر الحسوس

١١٨ ما سهى عن هضمها حيفا قد حربها

ولا تكسر في التواني والنعس

١١٩ صارت تدور لنا طورا واعداينا

وكلما وعدتنا فهو في ركس

١٢٠ حتى تداركها الله برافته

من بعد ما مضى لها مدة العنس

١٢١ بتقليد المغرب الوسط لعمدتنا

اضاء شمسه بعد حالك الغلس

١٢٢ ملك تقلدت للاملاك سيرته

دينا ودنيا تراه محسن السس

١٢٣ مويد لورمى نجمـــا لاثبتـــه

ولو دمى دبلا لبى ومـــا احتبـــس

١٢٤ شهم همام بحـزم الملك متـــزر

ومرتد النصر وفى الحلم ذو طخمـــس

١٢٥ بملك آل منديل تحت سلطانه

قد كان مدّ من واجـر الى تنـــس

١٢٦ كذاك ملك تجين فى ايـالته

كذا الجـدار القديم المتقن الاسس

١٢٧ ملك لآل يغمـور فيـه نصرتهـــم

كذا ملك بنى يعالى الافرينى الروس

١٢٨ لشعنب ومصاب مدت طاعتـــه

على مصابات شتى من ابى ضـرس

١٢٩ بمهـد الكل برخـــص وعافيـــة

قد امنوا كلهم عواقـــب الفلـس

١٣٠ محمد بن عثمـــان نجم سعدهـــم

رصد من كلف يصمى ومن سجـس

١٢١ مدة ست وسبع من امارته
حل بساحل وهران الويل في التعس

١٢٢ عمر كل مرصد كان مسلكهم
بالخيل والرجل مع حلق العسس

١٢٣ طلبة اتخذوا فيهم وعاشوا بلا
تفسهم بقيس فيس ولا بيهس

١٢٤ احيوا مراسم عفت من شيوخهم
احمد ومحمد او ابن يونس

١٢٥ سنة خمس اتى لها بكلكله
جند عظيم ما بين الشهم والخوس

١٢٦ طبّانات وعرادات احاط بها
كانها بينهم كحلقة المجلس

١٢٧ تكاد تصدع الشامخات مدافعه
رعد سحاب صديم الصغق واجرس

١٢٨ يفنى الفنا وما تفنى له حرب
كانه من صروف الدهر لم يتّس

١٣٩ يشيب من حربه راس الغراب ولا

يشيب راس نهار دائم الغلس

١٤٠ يسود مبيض وجهه من جاه ولا

يبيّض مسوده من شد الدمس

١٤١ بنفع خيله ودخان بارودة

يوم حليمة او كرج لارمانيس

١٤٢ فجار بطريقها من باسه فرقا

وقلبه مملو بالرعب والوجس

اخبارها قد طارت في الارض قاطبة

لاقينا في امدوجات من ورا قابس

اوبة حججنا فقلنا هنشا لنا

وصلنا حج الجمع بالجهاد النفس

١٤٣ عدة اشهر الحرب يساجلنا

طالع سعد له عليهم بالنحس

١٤٤ فطلبوا السلم من بعد مراوضة

فاعطوا الامان على الامتع والنفس

١٤٥ فكانت مدنهم فى هذه كمج
جرى بذلك القلم قدما فى الطرس

١٤٦ هم يخربون بيوتهم بايديهم
فاعتبروا يا ذوى الابصار والنفس

١٤٧ بنو النظير فى الحشر سبقوهم بذا
فكيف بالروم يفعل اليهود تس

١٤٨ اعقب سعيهم الخسران واتبعوا
فى ذاك ما مضى بجربة او تونس

١٤٩ نصرى وهران تركوها غامرة
فالحمد لله امنا من الهجس

١٥٠ بابى عثمان وعثمان قد رجعا
الينا ما يسلى عن ارض اندلس

١٥١ رماهم الله بالملك اميرنا
رمية سهم اتتهم على غير فس

١٥٢ اقام احوالا للاعداء منوعة
بالمكر والكيد والانفاض والدس

١٥٣ فطهر الثغر منهم اعظم نجس

وذو خبائث مع الفحش والخبس

١٥٤ فصار بالتوحيد تعلوا اباطحه

على الربا النفية من الحسس

١٥٥ بذى السعادات الذى لا يقاس به

وذى الدها الجم يغنيك عن النبس

١٥٦ بماضى الحزم والاقدام متزرا

ان عالج الداء كان غير منتكس

١٥٧ محى الذى كتب التجسيم من ظلم

واثبت التوحيد ودام كالحبس

١٥٨ لم يغن عنه مرجاجه واضرابه

ولا الجيوش ذوى اليلب والترس

١٥٩ امس على الربع للتميز منتصبا

عن خفض عاملها حالا من ملتبس

١٦٠ لا غَرْوَ ان نال مجدا ليس يدركه

سواه اذ عرقه فى المجد منغمس

١٦١ ان الامارة كانت ولايته في
اسلافه عرفها مخصر لم ببس

١٦٢ دم في تصرف ما اوليتنه ابدا
وارض سعدك بين الخصب والدهس

١٦٣ فرع من هو ذو نكس وذو الفس
وانبعث الكل للنداء والعدس

١٦٤ مدينة حلها التوحيد مبتسما
جذلان وارتحل التثليث في باس

١٦٥ من بعد ما صيرها العانيون بها
يستوحش الطرف ما انس من انس

١٦٦ شيدت مساجدنا وهصمت بيعها
اذاننا الحق قد بطش بالجرس

١٦٧ ابدلها الله بعرى اسقافه
مدارسا ما لها المعلم من درس

١٦٨ وغير الاسلام العالي معالمها
واذهب اللين من ذلك كالشرس

١٦٩ ما هي قد غضت وطابت جوانبها

وثوب وشيها قد صبغ بالورس

١٧٠ حبائل الشرك لا تخفى غوائلها

قد قبر الكفر في اغامق الرمس

١٧١ فقد سقاها الاه العالمين حيا

منار للاسلام ضاء بها كالقبس

١٧٢ فاعت بفرد المولى من بعد بكمتها

ما بها من صم يسرى ولا خرس

١٧٣ زهت باميرنا محمد وغدت

تميل اعطافها من شدة البهس

١٧٤ يبدي النهار به من ضوئه شنبا

كهالة البدر ان ركب في الخمس

١٧٥ اعلامه كعقبان الجو حائمة

يحق من حولها شهب الفنا حرس

١٧٦ ما زال حظه للاقبال منتبها

ككوكب سعده ضاء غير منطمس

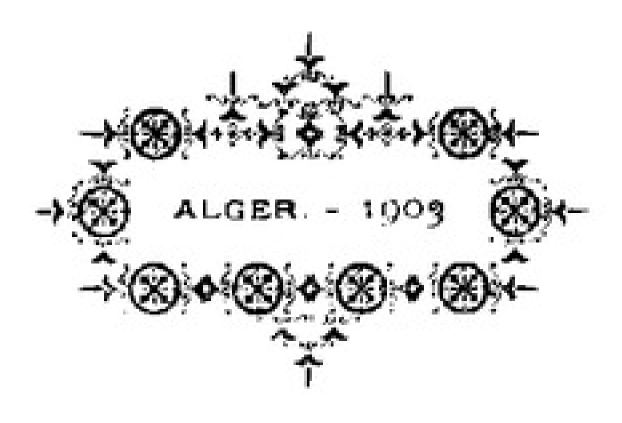
١٧٧ حيث المنا كان طوعه وتابعه
سعد السعود برايته كالطبرس

١٧٨ في خامس الفرد اضحى يوم اثنينه
كان الدخول بعون المالك القدس

١٧٩ سنة ست ثم الحمد لخالقنا
ما زكى الصلاة على المنقى من الرجس

١٨٠ باناه ابريز ختم من رجب
جبرايل اعطيه من نهر الفردس

١٨١ وصحبه الذين احد لو كان لنا
لم يف بالمد لهم بل ولا الخمس


ALGER. - 1909

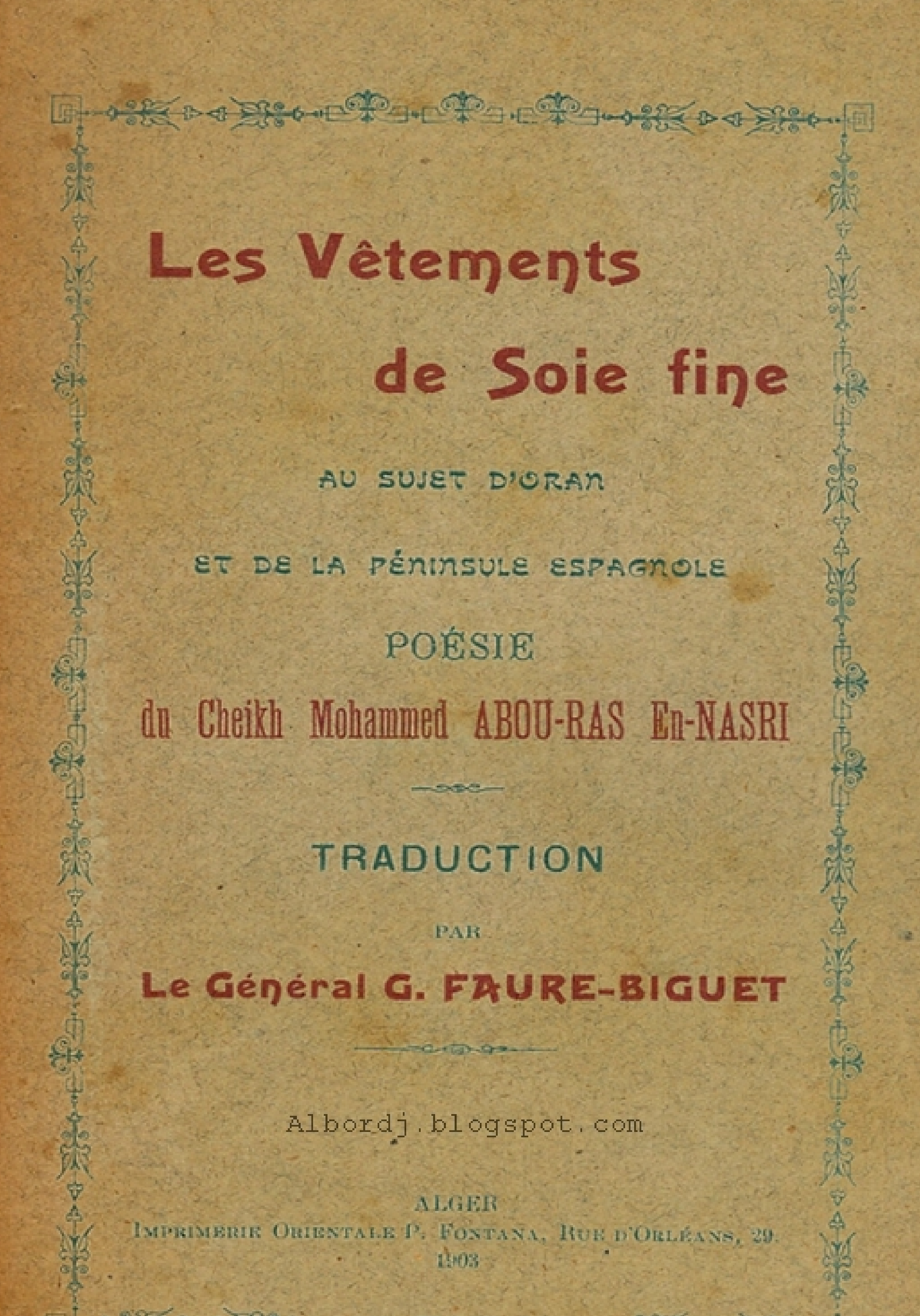
LES

VÊTEMENTS DE SOIE FINE

Au sujet d'Oran

et de la Péninsule espagnole





Les Vêtements de Soie fine

AU SUJET D'ORAN

ET DE LA PÉNINSULE ESPAGNOLE

POÉSIE

du Cheikh Mohammed ABOU-RAS En-NASRI

TRADUCTION

PAR

Le Général G. FAURE-BIGUET

ALGER
IMPRIMERIE ORIENTALE P. FONTANA, RUE D'ORLÉANS, 29.
1903

INTRODUCTION

Le Cheikh Mohammed Abou-Ras en-Nasri, de Mascara, a laissé une autobiographie dont j'ai traduit et publié les parties essentielles dans la *Revue Asiatique de 1900*. On y trouve la liste de ses ouvrages, parmi lesquels figurent les Commentaires de sa Cacida sur la prise d'Oran. Le titre de ce poème se présente avec les variantes suivantes :

الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الاندلسية

الحلل السندسية فيما جرى بالعدوة الاندلسية

Les manteaux de soie fine, au sujet d'Oran et de la Péninsule Espagnole.

Un texte de cette cacida se trouve dans le Commentaire traduit et publié par M. Arnaud. Celui que je donne ici est emprunté à un autre Commentaire; il

diffère très sensiblement du précédent ; il présente de l'intérêt parce qu'il peut être considéré comme la dernière édition de son œuvre donnée par le poète. Pour comprendre sa genèse, quelques explications sur les divers textes du poème et sur ses commentaires seront utiles.

Il existe, à ma connaissance, trois Commentaires que je désignerai par les lettres A, B, C. Le texte que je donne ici est extrait du troisième Commentaire C.

A — La traduction de ce Commentaire a été publiée par M. Arnaud. Je ne connais pas le texte qui lui a servi. On en trouve une variante à la Bibliothèque Nationale, sous le n° 4618. Le titre est : عجائب الاسفار ولطائف الاخبار *Voyages extraordinaires et nouvelles agréables*. Il y a sans doute une fin de titre qui n'a pas été donnée.

La Cacida contient 118 vers. M. Arnaud n'en donne que 117 ; mais il est facile de voir qu'il en manque un après le quarantième vers. Le voici tel que je l'ai trouvé dans une copie du poème appartenant à M. Guin :

اول العـــام من القـرون ثاني عشـــر

جمع اسماعيـل لها اقاصي الســوس

Dans les premières années du XIIe siècle, Ismaïl réunit contre elle les forces des parties du Soûs les plus éloignées.

Ce vers est indispensable : c'est le seul où l'on trouve le nom du Sultan Ismaïl, qui donne lieu cependant à six pages de commentaire (p. 119 à 124). Le premier

hémistiche est obscur ou incorrect ; on en verra plus loin l'explication.

Le Commentaire a été écrit du vivant du bey Mohammed, qui mourut en 1796. Cela résulte de plusieurs passages ; dans l'un d'eux notamment, page 100, le poète souhaite au Bey une vie opulente. Il a donc été écrit plusieurs années avant le voyage de Bou-Ras au Maroc, qui eut lieu en 1801 et 1802.

B — Le manuscrit existe à la Bibliothèque Nationale, sous le n° 4619. Il y a quelques années, quelqu'un qui connaissait l'écriture du Cheikh, m'a assuré qu'il était de sa main. Je n'ai pu savoir comment il était arrivé à la Bibliothèque Nationale ; d'après son examen, j'ai lieu de croire que c'est celui qui a appartenu au général Dastugue. Les dernières pages sont mutilées. J'ai vu en Algérie deux manuscrits, qui s'arrêtent court précisément au point où commencent les mutilations ; ils dérivent donc de celui de la Bibliothèque Nationale [1]. L'un d'eux appartenait au muphti d'Oran, Si Ali ben Abd er-Rahman ; il mérite d'être signalé pour le cas où il tomberait sous les yeux de quelque érudit : c'est un chef-d'œuvre de calligraphie ; il est fidèlement copié. Cependant le copiste, qui était un homme instruit et pieux, a cherché à rectifier des mots douteux ; il a ajouté quelques mots utiles, mais non indispensables pour l'intel-

---

(1) Voici une autre preuve matérielle de cette origine. Le manuscrit de la Bibliothèque Nationale a été rogné à la reliure, et un mot qui était en marge a été tronqué, de telle sorte qu'il est difficile d'en supposer la fin. Dans les deux manuscrits dont je parle, on a laissé en blanc la fin de ce mot.

ligence du texte, et un grand nombre de formules pieuses, telles que رضي الله عنه , رحمه الله , etc. Tant qu'on n'aura pas trouvé un manuscrit donnant intégralement les parties mutilées, celui de la Bibliothèque Nationale devra être considéré comme étant la source de tous les autres.

La Cacida contient 135 vers. Un quart de ceux-ci se retrouvent sans changement dans la Cacida A ; environ la moitié s'y retrouve avec des modifications plus ou moins importantes ; le reste est entièrement nouveau. Pour les nouveaux vers, le poète ne s'est pas mis en frais d'imagination ; dans le but de donner prétexte à ses récits historiques sur l'Espagne, il aligne des noms propres dans des vers du genre de ceux-ci :

فطـــان افطـنــنـــا بلنسيـــة
مريـــة فبطلـــة يفـــور بطليـــس
لوشـة بلشـــة بحصـــب بسطـــة
وشنتريـــن اشتـــرى منا بالبخـــس

La Catalogne, où ils nous réduisirent en servitude, puis Valence, Almeria, Cabtal (l'isla Mayor), Yacour, Badajoz.

Ils nous ont acheté à vil prix Loja, Velez, Yahcib (Alcala la Réal), Baza et Santarem.

Un autre vers contient à lui seul neuf noms de villes. Ces théories de noms propres ne sont ni poétiques ni harmonieuses ; mais elles convenaient bien au but poursuivi ; elles avaient aussi l'avantage de faire naitre l'occasion d'un grand nombre de jeux de mots que l'auteur

saisissait avec empressement. La Catalogne et Santarem nous en offrent des exemples dans les deux vers ci-dessus. Le vers qu'on trouvera ci après, sous le n° 47, est consacré à jouer sur les noms de couleurs, le n° 159 à jouer sur les termes grammaticaux.

Le Commentaire est surtout consacré à l'histoire d'Espagne ; cependant on y trouve un peu de tout, depuis le schisme de Samarie jusqu'à Napoléon. Il a été composé après 1814, car la paix qui termina enfin les les luttes des Espagnols et des Français, sous l'Empire, y est mentionnée ainsi que l'expulsion de ces derniers. Il est donc postérieur à A. On y lit le passage suivant :

وقد كنت كلفت بشرحها ...... وقد بيضته في مرتيل مرسى تيطوان لما بعثني من هنالك السلطان سليمان ..... ثم ثنيت عنان القلم ثانيا ...... وسميته الخبر المعرب عن الامر المغرب الحال بالاندلس وثغور المغرب كما سميت الشرح الاول روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان

J'avais entrepris de faire un Commentaire de ce poème(1).... je l'avais rédigé (ou copié) à Martil, port de Tétouan, quand le Sultan Soleïman m'y envoya pour m'embarquer.... puis j'ai tourné la bride à ma plume pour faire un second commentaire que j'ai appelé :

(1) Les parties représentées par des points ne contiennent que des répétitions, ou des éloges du Sultan ou de la Cacida elle-même.

« Récit explicatif des choses remarquables arrivées en Espagne et dans les places du Mag'reb », de même que j'avais nommé le premier : « Jardin de la Consolation, composé dans le port de Tétouan ».

Ce passage est clair ; il nous donne le titre du Commentaire B ; mais à le prendre au pied de la lettre, le premier Commentaire aurait été composé au Maroc, c'est à dire en 1802, sous le titre *Jardin de la Consolation*, tandis que nous en connaissons un, le Commentaire A, *Voyages extraordinaires*, qui a été composé avant 1797.

Voyons si l'autobiographie va éclaircir la question : Bou-Ras y mentionne l'incident du *Jardin de la Consolation*, composé ou copié à Martil, dans le but d'obtenir une récompense du Sultan Soleïman ; mais il ne fait à cette occasion aucune allusion à ses autres ouvrages du même genre. Plus loin, dans la liste générale de ses œuvres, les titres se succèdent, simplement séparés par la conjonction و, et comme ils se composent généralement chacun de plusieurs parties séparées par la même conjonction, il est souvent difficile de distinguer un titre du suivant. On y lit :

والنظم المسمى بكلل السندسية فيما جرى بالعدوة
الاندلسية وشرحيها الاول القصص المعرب عن الخبر المغرب
عما وقع بالاندلس وثغور المغرب والثاني غريب الاخبار
عما كان بوهران من الاندلس مع الكفار وروضة السلوان
المؤلفة بمرسى تيطوان الخ

Et le poème intitulé « Les manteaux de soie fine, sur ce qui est arrivé dans la Pénisule Espagnole » et ses deux Commentaires, le premier : « Récit explicatif des choses surprenantes arrivées en Espagne et dans les places du Mag'reb », et le second « Histoire extraordinaire de ce qui est arrivé à Oran et en Espagne avec les infidèles », et le « Jardin de la Consolation, composé dans le port de Tétouan », etc.

Ainsi Bou-Ras annonce deux Commentaires et il donne trois titres, en sorte que, si nous ne savions pas que le troisième titre, *Jardin de la Consolation*, est aussi celui d'un Commentaire, nous croirions que c'est un ouvrage tout différent qui vient à son rang dans la nomenclature générale. Remarquons aussi qu'aucun des deux premiers titres donnés n'est identique à un de ceux que nous connaissons déjà. Mais ces différences n'ont pas de quoi nous étonner sous la plume d'un auteur arabe, et de Bou-Ras moins que de tout autre. Dans le premier titre on reconnait celui de B, et dans le second celui de A ; seulement, par une de ses inadvertances habituelles, l'auteur les met dans l'ordre inverse de l'ordre chronologique. Je ne vois qu'une explication qui rende assez bien compte de ces anomalies.

Bou-Ras compose d'abord un premier Commentaire A, *Voyages extraordinaires*, qui est celui de M. Arnaud. Il l'écrit du vivant du Bey Mohammed, sans doute avec l'espoir d'une récompense. Cependant peut-être eût-il une déception de ce côté, car je ne le vois nulle part vanter la générosité du Bey Mohammed, comme il le fait pour celle du Sultan Soleïmân. Plus tard, en 1801 et 1802, il se rend à Fès, où il fait hommage de plusieurs

ouvrages au Sultan. Au moment du départ, retenu à Martil par les vents contraires, il songe à mettre encore à profit la générosité du Sultan ; à cet effet il recopie (بيّض) ce Commentaire A, qui lui avait peut-être valu une déception ; mais il en change le titre et l'appelle *Jardin de la Consolation*, ce qui a le double avantage d'avoir un air d'actualité et d'appeler par la rime en ان les noms de Sultan et de Soleïmân. D'après ce que nous savons de ses habitudes de travail, il est permis de croire qu'il remania son Commentaire et quelques vers de sa Cacida, de manière à y introduire à l'adresse du Sultan quelques uns de ces éloges hyperboliques dont il est si prodigue dans l'autobiographie. Il aurait été bien difficile de composer un ouvrage entièrement nouveau, car il fallait se hâter pour que la récompense espérée eût le temps d'arriver avant le départ du navire. Elle arriva en effet. L'ouvrage envoyé à Fès s'y trouve probablement encore dans quelque bibliothèque.

Plusieurs années plus tard, après 1814, Bou-Ras voulant mettre à profit ses connaissances sur l'histoire d'Espagne, remanie sa Cacida par le procédé indiqué plus haut, et lui adjoint le Commentaire B, qui est le second. Il y mentionne dans la phrase citée ci-dessus le Commentaire A, en l'appelant seulement par ce titre, *Jardin de la Consolation*, qui lui rappelait un souvenir agréable.

Enfin, dans l'autobiographie écrite après 1818, il donne dans leur intégralité les titres de ses ouvrages historiques, afin d'indiquer à quelle partie de l'histoire se rapporte chacun d'eux. C'est ainsi qu'il donne les titres complets des Commentaires A et B ; seulement il le fait par à peu près, et dans l'ordre inverse de l'ordre

chronologique ; c'était là le moindre de ses soucis : puis, se rappelant que le Commentaire A s'appelait aussi *Jardin de la Consolation, etc.*, il mentionne également ce titre pittoresque qui lui rappelait le souvenir agréable du port de Tétouân. Le و qui sépare ce titre de غريب الاخبار الخ doit être compris dans ce sens que le Commentaire A portait ces deux titres. C'est ainsi qu'après avoir annoncé deux Commentaires, l'auteur donne trois titres.

C — Enfin il existe un troisième Commentaire, que je connais par une copie moderne appartenant à M. Delphin. Une note placée à la fin annonce que le manuscrit a été copié sur un autre, lequel avait été directement copié sur l'original, et que l'original, de la *noble* main de Bou-Ras, ne portait pas de date, suivant l'habitude invariable de l'auteur.

Je n'ai donc eu qu'un texte de troisième main. Le titre est :

عجائب الاخبار ولطائف الاسفار
فيما جرى بوهران والاندلس للمسلمين مع الكفار

Récits extraordinaires et voyages agréables, au sujet de ce qui est arrivé aux Musulmans de la part des Infidèles, à Oran et en Espagne.

C'est un composé des titres de A et B, et, en effet, cet ouvrage est un composé des deux premiers.

La Cacida comprend 181 vers ; sur ce nombre :
19 se retrouvent identiques dans A et dans B.

9	—	—	A et modifiés dans B.
24	—	—	B et modifiés dans A.

20	se retrouvent identiques dans A et n'existent pas dans B		
28	—	—	B et n'existent pas dans A
13	—	modifiés dans A et dans B.	
35	—	—	A et n'existent pas dans B
25	—	—	B et n'existent pas dans A

8 sont entièrement nouveaux.

Tous les vers de la Cacida A, où l'auteur se mettait personnellement en scène, ont été supprimés. Ceux de la Cacida B ont été allégés d'un bon nombre de noms propres. Ainsi un des vers cités page VI est devenu :

لوشة بلشة وزد لها بسطمة

وشنترين اشترى منا بالبخس

Yahcib a été jeté par dessus bord. Certaines mutilations ont été adoucies ; ainsi تير abréviation de انقلتيرة l'*Angleterre*, est devenu قلتيرة. Le premier hémistiche du 41e vers de la Cacida A, cité page IV, a été ainsi modifié :

وبعد الف ومائة في نقط يب

Dans la douzième année qui suivit l'an 1100, ce qui est à la fois plus clair et plus exact. La comparaison des vers ainsi modifiés pour être rendus plus corrects ou plus élégants ne manque pas d'intérêt.

Le Commentaire est aussi emprunté aux deux premiers, surtout au second, mais il est beaucoup plus condensé. La plus grande partie des citations sur l'histoire d'Espagne est supprimée. En même temps l'auteur ajoute un peu de nouveau. Des pages entières sont copiées dans les Commentaires précédents. Ce n'est

donc pas une œuvre nouvelle, mais ce n'est pas non plus une simple copie des deux premiers ouvrages.

Il est curieux de voir ce qu'est devenue la phrase du Commentaire B, citée plus haut, page IX et relative à l'ouvrage recopié dans le port de Tétouân. On retrouve en effet cette phrase, mais ainsi transformée :

وقد كنت كلفت بشرحها.... ثم ثنيت عنان القلم ثانيا لشرح القصيدة الاولى

Une première fois j'avais entrepris de commenter ce poème..... je tournai ensuite la bride de ma plume pour commenter une seconde fois la première Cacida.

C'est incompréhensible. Il me semble qu'on prend là l'auteur sur le fait. Étant occupé à recopier, en l'abrégeant, cette partie de son Commentaire B, il s'est engagé sans réflexion dans cette phrase, sans remarquer qu'elle ne pouvait plus s'appliquer au cas présent. Elle allait le conduire à donner une seconde fois son titre, qu'il venait précisément de donner quelques lignes plus haut. Alors il a tourné court, sans s'inquiéter de nous laisser au milieu d'une phrase devenue un rébus.

Cet ouvrage n'est pas mentionné dans l'autobiographie, soit qu'il ait été composé après celle-ci, soit que l'auteur, l'ayant considéré comme une simple fusion des deux premiers, n'ait pas jugé à propos de le citer comme une œuvre distincte.

Certains passages obscurs pourraient faire croire que ce travail de condensation n'est pas l'œuvre de Bou-Ras lui-même. On y lit des phrases telles que celle-ci : « Dans certains manuscrits, on lit *tel autre mot* ». On

s'explique difficilement cette phrase dans la bouche de l'auteur ; cependant ce n'est pas tout à fait impossible. Il se peut aussi que ce soit une remarque d'un copiste qui aura été maladroitement incorporée dans le texte : semblables méfaits ne sont que trop fréquents. Dans tous les cas, l'assertion qui termine le manuscrit et que j'ai rapportée plus haut, prouve péremptoirement que l'œuvre est bien de Bou-Ras, et a été écrite primitivement de sa *noble* main.

Les vers qui se retrouvent dans les Cacida A ou B sont marqués, suivant le cas, d'une de ces deux lettres ou de toutes les deux, majuscule quand le vers se retrouve identique, minuscule s'il est modifié. J'ai cru bon d'intercaler 19 vers des Cacida A ou B qui ont disparu de C, mais ils sont écrits en caractères italiques et sans numéro d'ordre. On connaitra ainsi la totalité de ce que la Muse a inspiré à Bou-Ras sur la prise d'Oran, soit 200 vers rimés en س, sur le mètre « basith. »

Après les vers 71, 72 et 73, qui sont communs aux Cacida B et C, j'ai cru devoir donner *in extenso* leurs analogues de la Cacida A, parce qu'avec des mots presque identiques, ils offrent un sens général très différent. En principe, pour tous les vers qui se trouvent dans la Cacida A, j'ai adopté le sens proposé par M. Arnaud, sauf quand l'auteur lui-même en a donné un sens différent dans un de ses Commentaires B ou C. On en verra un exemple curieux dans le vers 73.

Gal FAURE-BIGUET.

LES VÊTEMENTS DE SOIE FINE

au sujet d'Oran et de la Péninsule espagnole

A^1 b^1 1. — Soufflez, ô vents favorables, sur toute la terre de Dieu ; annoncez aux êtres muets en même temps qu'aux génies et aux hommes,

a^2 b^2 2. — Aux extrémités de l'Orient et de notre Occident, au nord, au midi, aux arbres et aux plantes,

A^3 B^3 3. — Aux flots gonflés des mers et aux habitants de leurs îles, la bonne nouvelle de la prise d'Oran, séjour du polythéisme et de la prostitution.

A^4 b^4 4. — Racontez-leur les malheurs passés. Pendant longtemps Oran a plongé l'Islam dans la perdition.

A^{5} b^{5} 5. — Dieu nous a permis de revenir à la charge contre elle ; nous avons recouvré une dette qui était tombée dans l'oubli.

a^{6} b^{6} 6. — Grâce à un héros qui s'est préparé à la guerre en relevant l'izar du vêtement de la victoire dont l'intrépidité formait le rida.

a^{7} b^{7} 7. — Il ne s'est pas inquiété des conséquences ; il n'a consulté que le sabre et la lance aigüe.

B^{8} 8. — C'est le bey Mohammed Lar[1], le plus vaillant parmi ceux qui s'élèvent par dessus les planètes et le sommet d'Orion.

A^{8} B^{9} 9. — Lors même que l'espoir ne lui sourit pas, il n'abandonne pas son projet, il en vient à bout à l'aide du sabre et du cheval.

a^{9} B^{10} 10. — Le chef de ces escadrons les a conduits à la guerre sainte, désireux de se trouver face à face avec ceux qui adorent trois dieux et qui prient au son des cloches.

A^{11} B^{11} 11. — Armée immense à laquelle rien ne résiste, pour laquelle les plaines de Atlât et de Mafès seraient trop étroites[2].

---

(1) Lar, titre des généraux Turcs.

(2) Atlât en Arabie ; c'est là que furent tués les frères de Beihas mentionné au vers 130. — Mafès ou Mems, lieu où se livra la bataille entre Zoheir ben Queis et Coceïla, non loin de Caïrouân. 688.

A[10] B[12] 12. — Il a installé ses soldats dans les faubourgs d'Oran, leur nombre dépasse l'imagination.

B[13] 13. — Ils sont tous affamés du désir de combattre ; aucun d'eux ne connait la peur et ne reste en arrière.

B[14] 14. — L'aigle ne se mesure pas à la taille de l'outarde qui lui sert de proie, pas plus que le géant à celle d'un chétif avorton.

a[12] B[15] 15. — Que la victoire lui soit aisée ! Il a rempli les environs d'Oran de ses coursiers rapides qui en parcourent les montagnes et les plaines.

A[13] B[16] 16. — Il s'y est installé en vainqueur par l'ordre de Dieu, comme un glaive tranchant et menaçant, ou comme une pluie abondante et bienfaisante.

a[14] B[17] 17. — Les Mog'râoua ont bâti Oran par ordre de leurs maitres, les émirs Omeyades d'Espagne.

A[15] b[18] 18. — Khazer le Mog'râoui en jeta les fondements dans le troisième siècle[1], alors que leur trône était dans toute sa puissance.

A[16] b[19] 19. — Dans la sixième année du quatrième siècle, les Azdâdja unis aux 'Adjîça les chassèrent de cette forteresse.

---

(1) En 290 de l'hégire (903). Comm. A.

a17 B20

20. — Puis Yoûçouf et 'Ali[1] chassèrent ceux-ci, comme ils les avaient déjà expulsés du territoire de Fès.

A18 b21

21. — Les Almohades vinrent ensuite ; ils grandirent et conquirent Oran au milieu du sixième siècle.

b21

22. — C'était une de leurs meilleures forteresses ; elle se révolta contre Abou-Debboûs[2] le dernier d'entre eux.

a19 b22

23. — Ensuite vint la famille des Zeyânites qui eût une longue suite de souverains; leur pouvoir s'étendit jusqu'à Dellys.

a20

24. — A leur époque vivait celui qui fût le pôle, le savant d'Oran, Mahammed[3], cet homme si grand qu'il n'avait pas de rival.

a21

25. — Après sa mort, Mahammed fut remplacé par son disciple Ibrahîm[4] qui s'éleva aussi haut que Jupiter.

---

(1) Yoûçouf ben Tachfîn et son fils 'Ali.

(2) Abou'l Ola Edris el-Ouatiq surnommé Abou-Debboûs, dernier Almohade 1266-1269.

(3) Mahammed ben Omar le Mag'râoui surnommé el Haouâri, savant, poète et thaumaturge d'Oran où il est enterré ; mort en 843 (1439) : cité par Ahmed-baba. Comm. B et C.

(4) Abou-Sâlem ou Abou-Ishaq Ibrahîm ben 'Ali de Tâza, élève du précédent, également poète et thaumaturge, mort en 1462. Cité par Ahmed-baba. Comm. B et C.

a21 26. — Quand il fit le pèlerinage, il vit venir à lui les habitants de l'Orient, même le plus reculé, comme ceux de Toûs et de Coûmes[1].

27. — Avec une science admirable, il amena à Oran de l'eau qui fut un bienfait pour cette ville.

a22 b22 28. — Pendant le huitième siècle, elle fut gouvernée par le Mérinide Abou'l Hacen[2] ; c'est alors que s'accomplit la soumission de Tripoli.

A23 b23 29. — Il construisit le Bordj el-Ahmer qui s'élève au-dessus de toutes les autres constructions, puis le second fort pour défendre les navires du port.

A24 B24 30. — Dans la quinzième année du dixième siècle, les Espagnols, gens du polythéisme et de la turpitude foudirent sur elle.

A25 B25 31. — Les hordes des infidèles ont fortifié ses flancs ; Abou-Calmoûs[3] n'a pu les repousser.

---

(1) Toûs et Coûmes dans le Khoraçân.

(2) Celui qui perdit la bataille du Rio-Salado.

(3) Abou-Calmoûs, dernier sultan Zeyanite de Tlemcen ; cette ville lui fut enlevée par les Turcs ; il en vint à appeler le secours des Chrétiens contre les Turcs : « cette inspiration du démon ne lui servit à rien. » Comm. C. — Il s'agit donc de Zeyân (1543 à 1550) qui se réfugia en effet à Oran après sa chûte ; mais il avait commencé par être l'allié des Turcs contre les Espagnols. C'est ce qui explique le vers.

a26 b26 32. — Le Duc[1] a ravagé ses deux plaines, lançant ses troupes sur les croyants, sans s'inquiéter de nos héros.

a27 B27 33. — Quand il répandit[2] ses troupes autour de la ville, les environs tremblèrent. L'élévation de ses monuments s'est changée en un triste abaissement.

b28 34. — Leurs pourceaux et leurs croix remplirent la ville qui auparavant était le séjour de la foi.

B29 35. — Combien de fois n'y avait-on pas lu des versets bien authentiques ! Après avoir été pure, Oran est devenue immonde.

A28 B30 36. — On eût dit qu'elle n'avait jamais possédé de ces astres brillants que le public a oubliés depuis, ni de gens distingués et intelligents.

B31 *C'est semblable à ce que fit Théophile[3] à l'égard de Malatia. Il en fut puni par l'abaissement, la honte et l'avilissement.*

---

(1) D'après l'examen du Commentaire, je ne crois pas que ce titre, qui reparaît plus loin, s'applique à un général Espagnol en particulier. C'était le Capitaine Général. Le Comm. C dit qu'on l'appelait aussi Marquis.

(2) Je ne crois pas que احاط doive se traduire ici par assiéger. L'ensemble du texte montre qu'il ne s'agit pas du siège d'Oran par les Espagnols, mais de l'époque qui suivit leur entrée dans la ville.

(3) D'après la date donnée dans le Comm. B, on voit qu'il s'agit ici de l'Empereur Théophile (829-842). Bou-Ras écrit Noël, probablement par suite de l'oubli d'un point diacritique dans l'auteur qu'il a copié. — Malatia autrefois Mélitène sur le Karasou affluent de l'Euphrate.

a29 B32 37. — Ce Duc a eu le champ libre ; ses mains se sont étendues pour saisir ce que ses pieds n'auraient même pas osé atteindre.

B33 38. — Après nous, il remplit la ville de la lie de Malaga, d'êtres aussi vils que l'âne et le bouc.

a30 B34 39. — Ses successeurs ont eu la même conduite ; tous ont imité les rois d'Aragon et de France.

B35 40. Quand ils prirent la Sardaigne, Dénia, Palerme, Mazzara (dans) l'île de Galien[1].

a31 b36 41. — La Catalogne[2], Carthagène, puis Valence, Almeria où régna Motacim[3] et Badajoz,

---

(1) Le premier hémistiche s'applique aux victoires de D. Jayme le conquistador. Dans le Comm. B, Sardenia et Denia signifiaient les deux grandes Baléares conquises par D. Jayme. Dans le Comm. C, Bou-Ras revient à des notions plus exactes : Sardenia est la Sardaigne, et Denia désigne Mayorque ; c'est cette dernière seule dont il attribue la prise au roi d'Aragon. Le 2e hémistiche s'applique à la Sicile : le premier mot désigne Palerme : les commentaires ne laissent aucun doute à cet égard ; mais il est toujours écrit جلدم ; ce ne peut être que le résultat d'une erreur de point diacritique, et de la détestable manière Africaine d'écrire le د. J'ai rétabli l'orthographe arabe usuelle. — « Un jour, raconte Galien, ma rate s'était enflée et je ne pouvais arriver à la guérir, quand je vis en songe un ange qui m'ordonna de m'ouvrir la veine située entre l'annulaire et le petit doigt. » Comm. B.

(2) قطان pour قطلان Catalogne, Comm. B.

(3) Mohammed ben Man el Motacim, roi d'Almeria,

b37 42. — Loja, Velez ainsi que Baza et Santarem, nous ont été achetés à vil prix.

B38 *Ibiça s'est desséchée ; sa douceur s'est changée en rudesse ; les infidèles en ont fait disparaître toute l'aménité.*

43. — Nous avons quitté Ibiça ainsi que Mayorque ; plût à Dieu que Yahia[1] fut venu de Gabès dans ces deux villes.

B40 *Pechina et Guadalajara ne pourraient plus recevoir la R'assâniya[2] qui était aussi savante que Ibn As.*

a32 b41 44. — Don Ramire le mauvais s'empara de Tarifa[3] dont ni el-Aftas ni son fils ne furent longtemps les maîtres.

b42 45. — Malheur sur Séville la belle et sur Cordoue ! Leurs antiques qualités ont disparu.

---

mort en 1091, quelques jours avant la prise de cette ville par les Almoravides.

(1) Yahia ben R'aniya venu en 1185 avec son frère 'Ali de Mayorque en Afrique où il joua un rôle important jusque vers 1227.

(2) Hafça bent Hamdoûn, surnommée la R'assâniya, poétesse née à Pechina, tirant son nom de la tribu Yemenite de R'assân. — Ibn As, savant espagnol. Comm. B.

(3) Tarifa fut prise par Sancho IV roi de Castille en 1292. Ce vers diffère très peu du vers 32 de la cacida A. Dans la cacida B, il avait été ainsi modifié : « Tarifa et Ruta d'Ibn Hout ont été enlevés par les infidèles, de même qu'ils ont enlevé Badajoz aux Beni Aftas ». Cela était plus exact, puisque Tarifa n'a jamais appartenu aux Beni Aftas. On ne s'explique pas pourquoi Bou-Ras est revenu à son premier vers.

B43 *Câcem[1] n'a-t-il donc pas chanté la Roçafa de Cordoue, augmentant ainsi dans les âmes le regret de la splendeur passée.*

b44 46. — Baeza, *Comares,* Ubeda, Tortose, Lisbonne, Fraga, Carmona et Cadiz,

B45 *Sidonia, « Medrour », « Bachania », Porcuna, « Crites[2] » cette fleur de la religion sont aujourd'hui bien loin de nous.*

b46 47. — Algeziras, l'Alhambra, Cora et Ocbana, Gibraltar qui est aujourd'hui aux mains des Anglais,

b47 48. — Guadix et le Guadalquivir[3] ont été affligés par la mort et la captivité, ainsi que Chaster et Anvers[4].

B48 *Combien vous avez mal agi, ô « Tekhares » et « Batarzadj » ainsi que le cercle d' « Achkounia » et « Bedjanes[5]».*

---

(1) Câcem ben Abboud er-Riahi, poète Cordouan qui composa des vers sur les ruines de la Roçâfa. Comm. B.

(2) Ce nom est écrit قريطش dans le Nefh et-Tib de Maccari. Comm. B. Il désigne une ville d'Espagne et non l'île de Crète, comme on pourrait le supposer.

(3) لوكه ou لك désigne habituellement le Lekk ou Guadalete. Ici il désigne le fleuve de Séville, c'est-à-dire le Guadalquivir. Comm. B. Bou-Ras n'est pas responsable de cette confusion qui avait été faite avant lui par R'azzâli, comme on peut le voir dans le Comm. A.

(4) Anvers, capitale des Flamands. Bou-Ras reconnaît qu'elle n'a jamais appartenu aux musulmans ; mais il a entendu dire qu'ils y percevaient jadis quelques tributs. « Dieu est le plus savant. » Comm. C.

(5) Batarzadj était dans la province de Campo de Calatrava. Achkounia était entre Silves et Lisbonne ; Bedja-

B49 49. — Ibn Mâlik a quitté son Jaen ; 'Ali en a fait de même, ainsi que le grammairien de Séville[1].

b51 50. — O douleur ! Où est ce royaume des Beni A'bbâd qui croyaient ne jamais disparaitre ?

B52 *Où est la postérité de Zeïdoûn et celle de Macis qui appartenait aux Beni 'Abbâd ? Où est la postérité d''Ammar qui était l'égal d'Abou-Nowâs[2].*

b50 51. — Nous avions cependant vaincu à Arcos, à Zelâca et dans bien d'autres endroits ; mais nous tombâmes ensuite dans l'avilissement.

52. — Depuis que Yoûçouf et Ya'coub[3] ont disparu, les hordes des Galiciens et des autres nations se sont enhardies contre nous.

---

nes dans le gouvernement de Guadix. Ces villes ont mal agi parce qu'elles ont été tièdes dans la guerre sainte. Comm. B.

(1) Mohammed ben 'Abdallah ben Mâlik, auteur de l'Alfiya. — Abou'l Hacen 'Ali ben Moumen ben Mohammed Asfour de Séville, grammairien, élève de Chaloubin. Comm. C.

(2) Abou Bekr ben Zeïdoûn, Ibn 'Ammar el-Mahri el-Andalouçi et Hacen el-Macis, poètes de la cour de Motamid, dernier roi de Séville. Comm. B.

(3) On pourrait dire les deux Ya'coûb, car ce vers pourrait s'appliquer à l'Almohade Ya'coûb el-Mançour et au Merinide Ya'coub ben 'Abd el-Haqq. Comm. C. Dans la cacida B, ce mot est au duel. اليعقوبان

B54 *« Remima » et « Bertania », puis Anija, Yabçib (Alcalà la real) et Barbastro qui a été aux mains des troupes de Guillaume*[1].

B55 53. — Le bras du Galicien qui autrefois était emprisonné, s'est étendu frauduleusement jusqu'à Trujillo et *Djalmania*.

b56 54. — Hélas ! Qui me donnera une de ces campagnes qui dissipent le chagrin, comme celles de En-Nasri, de En-Nâcer ou du Merinide[2].

B57 *Saladin a débarrassé la religion des obstacles qui la gênaient ; Noureddin a été un objet de terreur suspendu au cou des Francs.*

b58 55. — Nos souverains ne se sont plus occupés que de dépêcher leurs affaires : ils nous ont dévoré comme l'animal à l'écurie dévore le grain.

B59 56. — Ils se sont tous détournés de la guerre sainte contre l'infidèle ; c'est au

---

(1) Remima, village du gouvernement de Grenade. — On peut voir dans les recherches de Dozy que اردمليس est une corruption de الاردمانيين les Normands ; mais ce nom a fini par être pris pour celui de Guillaume de Montreuil, chef de la sanguinaire expédition de Barbastro. C'est dans ce sens que l'emploie Bou-Ras.

(2) Ismaïl ben Faradj, roi Nasrite de Grenade 1314 à 1315. — 'Abd er-Rahmân III en-Nâcer Khalife Omeyade 912 à 961. — Quant au Merinide, c'est Yacoûb ben 'Abd el-Haqq, 1259-1286. Comm. C.

point que notre grande Egypte a été précipitée dans l'adversité[1].

57. — Plût à Dieu que nous eussions une armée comme celle de l'Abedite[2] ! Innombrable ! Mieux vaudrait compter un tas de lentilles !

B60 *Où est la foi qui délivra de l'impiété notre Ouafdjar[3], Orihuela, Arjona et Beja d'Espagne?*

B61 58. — La Péninsule Espagnole vivait dans la foi; mais, avec la rapidité de l'éclair, elle est retournée à la plus horrible turpitude.

B62 59. — Le vent de la victoire n'a plus soufflé dans ses plaines quand la discorde a régné entre ses princes.

33 B63 60. — Pendant des années ils ont été en rivalité. C'est pour cela que les rois Chrétiens d'Espagne se sont enhardis.

B64 61. — La mort du fils d'Abou-Zeid[4], de son émule et du héros de la famille d'ʿAmir[5] les ont rendus audacieux comme des putois.

---

(1) Allusion à la campagne de Bonaparte en Egypte. Comm. B.

(2) L'Almohade ʿAbd el-Moumen qui était originaire des Beni ʿAbed, fraction des Kiouma, tribu des Trâra.

(3) Ouafdjar, ville de la province de Grenade. Comm. B.

(4) L'Omeyade Mohammed I, fils de Abou-Zeid ʿAbd er-Rahmân II, fils de Hakam I. Ce fut lui qui gagna la bataille du Guadacelete.

(5) Le célèbre el-Mançour ben Abi ʿAmir.

62. — Oh ! Combien ont souffert dans ce pays les signes de la foi ! Ce temps a été comme le sommeil troublé par un cauchemar. A[37] b[65]

63. — Ils nous ont pris Ronda et Malte[1], ces idolâtres chétifs, méchants et méprisables. b[66]

64. — Zâhira, Zahra, Merida[2], Saragosse, *Castalla* (ou Castille[3]), Calatrava ont perdu toute valeur. B[67]

65. — Alfonse a anéanti Todmir ; quant à Murcie elle a éprouvé de la part des Français[4] tout ce qu'on peut attendre de gens dignes de réprobation. b[68]

Sidonia a causé à la foi un violent saisissement ; « Calalès », Uclès, Huesca et Elvira sont dans l'ordure. B[69]

66. — Tolède fut la première de leurs conquêtes. De el-Haouâri elle est revenue à Alfonse[5]. B[70]

---

(1) Cet hémistiche est incomplet ; il faudrait probablement lire : Ils nous ont pris Ronda Niebla et Malte. Voir la note du texte.

(2) Merida dans le vers et Lerida dans le Commentaire. Bou-Ras confondait ces deux villes. Comm. C.

(3) Bou-Ras croyait comme beaucoup d'auteurs Arabes, que la Castille avait pour capitale une ville portant le même nom.

(4) Littéralement, les Parisiens. Allusion aux guerres des Français sous Napoléon. Comm. C.

(5) Yahia ben Di'n Noûn surnommé Nâcer ed-Doula, à qui Tolède fut enlevé par Alphonse VI en 1085.

b71,73 67. — La dernière fut Grenade ; des malheurs et des désastres semblables à ceux de Júcar fondirent sur elle.

B72 68. — Le roi Chrétien y jeta un regard dédaigneux sur les Nasrites jadis si puissants et sur Mouaq(1) l'honneur de la ville.

B74 *Pélage nous a accablés de calamités auxquelles aucune autre ne peut être comparée ; Narbonne, Pampelune, le château de Pélage sont aujourdhui muets.*

B75 69. — De quels malheurs le pays de el-ʿOcab n'a-t-il pas été cause pour nous ! Il a ruiné les affaires de l'Espagne(2).

B76 70. — Tarifa leur a apporté un beau présent qui est pour nous une source d'humiliations et qui nous fait désespérer de reprendre la Péninsule.

a34 B77 71. — N'avons-nous pas été les maîtres à Soheïl(3) et à la Sahla, grâce à l'arrivée d'une beauté aux lèvres purpurines.

A34 *Oran n'a-t-il pas été à nous avec ses eaux limpides, alors que les lèvres purpurines y excitaient l'admiration ?*

---

(1) Mohammed ben Ahmed el-Abdari, surnommé el-Mouaq, savant de Grenade.

(2) La bataille de las Navas de Tolosa.

(3) Comme on le voit, les vers 71, 72, 73 se retrouvent avec de curieuses variantes dans la cacida A. Dans celle-ci, ils s'appliquaient à Oran ; l'Oued Ibn el-Kheir est le ruisseau d'Oran. Comm. A. Dans les cacida B et C, le poète conserve la plupart des mots de ces vers, mais les

a35 B78

72. — N'avons-nous pas, grâce à Salma, régné pendant longtemps, sans conteste, sur Jâtiva ?

A35

N'avons-nous point reçu les faveurs de Salma, l'objet de notre amour, sur les bords du chemin de Kadima.

a36 B79

73. — N'avons-nous pas, sur les bords de l'Oued Jerez, versé le contenu des jarres dont on enterre le pied pour les conserver ?

A36

N'avons-nous pas, sur les bords de l'Oued ben el-Kheir, versé le contenu des jarres qu'on enterre par le pied pour les conserver?

b80

74. — N'a-t-elle donc élevé la voix que dans l'assemblée des Fechtala[1] comme si les yeux de cette beauté (l'Espagne) étaient alanguis par le sommeil.

b85

75. — Une montagne s'est élevée entre nous et notre Péninsule ; les portes de la

---

applique à l'Espagne. Je crois qu'on doit les entendre ainsi : le poète entre dans la série banale des comparaisons avec le vin et les beautés de la femme, images symboliques de l'amour de Dieu et du Prophète. Il admirait vivement ce genre de comparaisons. Dès lors, l'arrivée d'une beauté aux lèvres purpurines, signifierait l'introduction de l'islamisme ; les réunions de buveurs de Carcassonne représenteraient les réunions de pieux docteurs de la loi.

Sohelia, village de la province de Malaga, patrie d'Abou'l Câcem 'Abd er-Rahman ben el-Khatîb es-Soheïli, Comm. B et C. — La Sahla, province d'Albarracin.

(1) Les Fechtâla, tribu Çanhadjite.

guerre sainte ont été fermées à jamais pour nous.

b81 76. — N'a-t-on pas compté dans nos villes de Belefique et d'Andarax des hommes éminents dans l'enseignement du culte du Dieu unique ?

B82 *N'avons-nous pas, à Carcassonne, tenu des assemblées où nos jeunes serviteurs faisaient circuler les coupes ?*

B83 *'Omar[1] n'a-t-il pas enseigné à Salobreña, où la science de la grammaire a été complètement effacée ?*

B84 *Les Infidèles nous ont enlevé Castille, Silves et Zamora la prostituée.*

b86 77. — L'Espagne n'a-t-elle pas été enveloppée dans notre puissance ? Avons-nous craint l'Angleterre et les Flamands ? (Litt. Anvers).

B87 *Demandez à Purchena ce qu'il est advenu de « Barcos ». Voilà les héros de Fiñana qui sont tombés dans l'abaissement.*

B88 78. — Maintenant voici qu'ils occupent sur nos rivages Ceuta, Melilla, Nakour et Bâdis[1].

---

(1) Abou 'Ali 'Omar, surnommé Chaloubin, le grand grammairien de Salobreña.

(1) Bâdis, Peñon de la Gomera (des R'omara).

B89 79. — A l'exception de ces quatre places, toutes les autres conquêtes qu'ils avaient faites sur nous, telles que Agadir et les ports qui l'entourent,

B90 80. — furent reprises en totalité par Mohammed et par son fils[1] qui purifièrent le Soûs de ces infidèles.

B91 81. — Dom Sebastien a été humilié à l'Oued Mekhâzi ; Abou Merouân[2] lui a fait goûter le trépas.

B92 82. — Arich et Tanger, Mehdia et Bridja ont été arrachées aux Portugais

B93 83. — par les armes d'Ismaïl[3], puis par celles de son petit-fils ; mais la lumière du soleil s'est éclipsée à Ceuta.

B94 84. — Dieu a mis Alger au pouvoir des Turcs afin qu'ils combattent Oran, séjour du polythéisme et de la trahison.

B95 *Le pacha, fils de Kheir ed-Din l'a attaqué le premier ; il a mis en perdition le fort qui défend son port*[4].

---

(1) Abou 'Abdallah Mohammed el-Câïm bi Amr Illah et son fils Abou'l 'Abbâs Ahmed el-'Aradj, premiers cherifs Saadiens 1512 à 1553.

(2) Abou Merouân 'Abd el-Malik ben Mohammed, sultan Saadien 1576 à 1578.

(3) Mouley Abou Nâcer Ismaïl ben Mouley Cherif, sultan Haçanide 1672 à 1727.

(4) Exagération poétique, puisque Hacen ben Kheir ed-Din échoua devant Mers-el-Kebir en 1563. Cependant il s'empara du fortin San-Miguel, qui dominait le fort principal.

B[96] 85. — Le pacha Ibrahim[1] vint l'attaquer au milieu du onzième siècle.

b[97] 86. — Il s'installa quelque temps sur l'Almeïda en inquiétant la ville, puis il revint sur ses pas à cause de la difficulté de l'entreprise.

a[38] b[98] 87. — A la fin du même siècle, Chabân le Zenagui l'assiégea[2], mais elle résista, Dieu sait avec quelle énergie.

a[39] B[99] 88. — L'armée nombreuse des musulmans foula cette terre et fit couler les larmes des habitants sans aucune exception.

A[40] B[100] 89. — Des combats terribles se livrèrent entre eux et se terminèrent par la mort de ce martyr.

a[41] B[101] 90. — Dans la douzième année qui suivit l'an 1100 (1700-1), Ismaïl[3] réunit contre Oran les contingents des parties les plus reculées du Soûs.

---

(1) Ce fut le premier, dit Bou-Ras, qui amena de l'artillerie sur l'Almeïda. Il y eut à Alger un pacha, Ibrahim, entre 1655 et 1658, ce qui correspond à peu près au milieu du XIe siècle de l'hégire. Je n'ai trouvé nulle part trace de son expédition contre Oran, qui est cependant mentionnée dans les trois commentaires.

(2) Chabân, bey de Mazoûna, tué devant Oran en 1686.

(3) Mouley Ismaïl déjà nommé, (vers 83). Bou-Ras fait ici confusion de dates. L'expédition de 1700-1, dans la province d'Oran, eut lieu contre les Turcs. Celle contre les Espagnols avait eu lieu en 1693.

91. — Les habitants de Temesna, ceux des bords de la Moulouya, d'Oudjda, les Ma'quel et les Beni Yznacen.
B102

92. — Il installa son matériel autour de la ville pour en pousser vigoureusement le siège ; mais il ne put trouver le moyen de la réduire.
A42 B103

93. — Il s'installa quelque temps sur Heïdour en employant toutes sortes de stratagèmes ; il appela à son aide tout ce qui se trouvait à l'entour sur le territoire des Makhis(1).
A43 B104

94. — Mais l'astuce des défenseurs et la force de la place lassèrent sa valeur ; tel l'aigle des airs qui se défend par son élévation.
a44 B105

95. — Il dit alors : C'est une vipère cachée sous un rocher ; elle peut nuire et personne ne peut lui faire de mal.
a45 B106

96. — Les Chrétiens l'entourèrent de gardes attentifs ; ils entendaient le moindre bruit de quiconque s'approchait, comme si c'eût été un bruit violent.

97. — Quand Dieu eût résolu de ramener la foi à Oran, il suscita à Alger la lumière qui devait chasser les ténèbres,
a46 B107

---

(1) C'est-à-dire sur le territoire à l'ouest d'Oran qui avait été occupé autrefois par la tribu Hilalienne des Makhis. Comm. A.

98. — Mohammed Bakdach, le plus brillant des pachas de cette ville, qui s'est élevé au-dessus de ses pareils par son intelligence et sa bravoure. [a47 b108]

99. — Il équipa une flotte montée par les Turcs qui débarquèrent à l'est d'Oran sur son territoire desséché[1]. [B109]

100. — Il nous amena par ce chemin des canons et des mortiers, remplissant ainsi les infidèles d'inquiétude. [a48 B110]

101. — Ozen Hacen n'a pas cessé d'attaquer la ville, de même que le vigoureux et intrépide Mostafa à la forte moustache[2]. [a49 B111]

102. — La ville fut prise de vive force en l'an 19 (1708), après un séjour des infidèles de 205 ans, pendant lesquels la religion fut abaissée. [A50 B112]

103. — Après que la trahison et le malheur se fussent succédé, la Sounna que notre Seigneur avait imposée à la tribu de Djâdis fut rétablie. [B113]

104. — Oran devint pour les hommes comme un pâturage sûr, alors qu'auparavant toutes les joies de la vie en avaient disparu. [A51 B114]

---

(1) A Arzew.

(2) Bou-Ras substitué à Bou-Chlâr'em, surnom habituel de ce Bey, son synonyme قايق pour la mesure du vers.

a52 B115

105. — Après avoir trébuché jadis, les pieds de l'islamisme se fixèrent à cette ville comme à un but assigné vers lequel il s'était élancé comme un cheval dans la carrière.

A53 b116

106. — C'est là l'ordre de Dieu ; c'est ainsi qu'il en avait décidé ; s'il avait voulu, ils ne l'auraient pas possédée un dixième de seconde.

A54 B117

107. — Après dix années, puis dix autres et puis quatre, ils revinrent à cette ville qui est la consolation des malheureux.

A55 B118

108. — Ils s'en emparèrent après de faibles combats ; la première fois ils l'avaient eùe par une trahison insigne.

a56 b119

109. — La seconde fois, ils l'ont achetée pour bien peu de chose. Comment une ville comme Oran peut-elle se vendre à vil prix ?

b120

110. — Deux fois ils y sont venus et l'ont trouvée bien pourvue ; la promesse qui leur en a été faite n'a pas été longue à se réaliser.

A57 B121

111. — Ils ont été libres d'y vivre et d'y agir à l'aise ; elle était parée pour les Chrétiens comme une mariée pour son époux.

a58

112. — Quel triste sort pour cette place livrée en pâture à l'infortune ; sa puissance s'est misérablement écroulée.

113. — Cette ville était le séjour de la science et de la foi ; le vol et le pillage se sont abattus sur elle comme ils avaient fait pour Calatrava[1].

359
B123

114. — Les réunions funèbres de toutes nos femmes resplendissantes par leur beauté et leur parure devinrent pour l'ennemi comme des fêtes nuptiales.

360
B122

115. — Les Chrétiens se sont partagé (puissent-ils ne pas les garder longtemps ![2]) les perles précieuses de nos trésors préservés avec soin de tous les regards (nos femmes).

361

116. — Il y avait des jardins sur lesquels l'œil aimait à se reposer ; l'ancienne splendeur de leurs arbres contraste avec leur désolation actuelle.

362

117. — Un chef Chrétien désigné par les décrets de Dieu en détruisit les splendeurs ; il passa bien des nuits dans l'insomnie en multipliant ses recherches.

118. — Depuis qu'il lui a fait la guerre, il s'est constamment occupé de la détruire ; il ne s'est pas laissé amollir par la paresse ou le sommeil.

(1) حصن رجع en Espagne. Comm. C. Il est probable qu'il s'agit de Calatrava appelé ordinairement قلعة رجع

(2) Au moment où Bou-Ras écrivait, les Chrétiens ne possédaient plus Oran ; on ne s'explique donc pas pourquoi il forme ce souhait. Mais le Comm. C ne laisse aucun doute sur le sens.

B124 119. — Oran a passé successivement de nos mains à celles de l'ennemi. Chaque fois qu'elle nous promettait quelque chose, c'est l'inverse qui arrivait.

A63 B125 120. — Enfin, dans sa mansuétude, Dieu nous la ramena, après un temps aussi long que l'âge d'une vieille fille[1].

a64 B126 121. — Quand celui qui est notre appui fut en possession du Mag'reb central, le soleil brilla, succédant aux épaisses ténèbres.

a65 122. — C'est un prince dont les souverains imitent la conduite ; pour la religion et pour les choses de ce monde, on admire son gouvernement.

a66 B127 123. — C'est un roi victorieux ; s'il lançait un trait contre une étoile, il l'atteindrait ; s'il appelait le mont Dabil, celui-ci répondrait avec empressement à l'appel[2].

A67 124. — C'est un héros magnanime ; ses vêtements sont l'énergie et la victoire ; son naturel est la douceur.

a68 125. — Son royaume comprend celui des Beni Mendil, qui s'étendit autrefois de l'Oued Oued Djer[3] jusqu'à Ténès.

---

(1) Après 63 ans, dit un des Commentaires.

(2) Vers copié presque littéralement sur un vers d'Ibn el-Abbar, cité dans le Comm. C.

(3) L'Oued Oued Djer est dans la Mitidja.

a69 — 126. – Le royaume de Todjin est aussi sous son pouvoir, ainsi que l'antique Tlemcen aux solides fondations,

a70 — 127. — siège de la splendeur du trône de la famille de Yar'morâcen, ainsi que du royaume des fiers fils de l'Yfrinite Yala.

A71 — 128. — Son autorité s'étendit au-delà du pays de Cha'nb et de Moçab[1], à plusieurs journées de marche au delà d'Abou Deres.

A72 — 129. — Il fit goûter l'indulgence et la paix à toutes les tribus qui virent ainsi succéder la sécurité à la ruine.

A73 — 130. — Mohammed ben Otmân, l'étoile de leur félicité, les mit à l'abri des souillures et des affronts[2].

a74 — 131. — Pendant treize années de son gouvernement, il fit pleuvoir sur les habitants d'Oran le malheur et la perdition.

A75 — 132. — Il garnit de cavaliers, de fantassins et d'un cordon de postes tous les lieux où ils pouvaient passer.

a76 — 133. — Des tolba combattirent vigoureusement et firent du mal aux Chrétiens ; on ne doit pas les mesurer à la taille de Queïs ni de Beïhas[3].

(1) Les Cha'nba et le Mzab.

(2) En 1785, le bey Mohammed avait fait une brillante expédition jusque dans le sud de la province d'Alger.

(3) Queïs ben Zoheir et Beïhas. Ce dernier était un Arabe célèbre par la vengeance qu'il tira du meurtre de ses frères.

a[76] 134. — Ils firent revivre les traces disparues de leurs professeurs Ahmed, Mohammed et Ibn Yoûnes(1).

A[77] 135. — En l'an 5 (1205-1791), une armée immense composée d'hommes énergiques et intrépides arriva sous ses murs avec son matériel.

a[78] 136. — Le bey entoura la ville de batteries et de mortiers ; elle était au milieu d'eux comme un cercle de curieux.

a[79] 137. — Peu s'en fallut que ses canons écrasassent ces montagnes ; c'était le roulement continu du tonnerre dans un nuage fulgurant.

B[128] 138. — Tout ce qui est périssable finit ; mais les combats ne finissent pas pour lui ; on dirait qu'il dédaigne les vicissitudes du temps.

A[80] B[129] 139. — La tête du corbeau blanchit d'effroi à la vue de ses combats ; mais le jour toujours obscurci (par la poudre) ne blanchit pas.

---

(1) Abou'l 'Abbas Ahmed ben Tâbet, cheikh de Tlemcen, mort en 1645. — Mohammed désignait dans le Comm. A le cheikh Mohammed ben 'Abd el-Kerim, mort au Touât, contemporain d'Ahmed Baba, et par suite du sultan Ahmed ed-Dahabi (1578-1603). Dans le Comm. C, il est devenu le célèbre marabout marocain el 'Ayachi, tué en 1641. On raconte que dans la nuit qui suivit sa mort, sa tête coupée récitait encore le Coran. — Ibn Yoûnes, originaire de Sicile, commentateur de Sidi Khelil. — Ces trois personnages étaient à la fois des savants et des guerriers.

b130 140. — L'obscurité était telle que quiconque approchait voyait noircir les blancheurs de son visage ; ce qui avait noirci ne redevenait plus blanc.

a81 141. — La poussière des chevaux, la fumée de la poudre, rappelaient la bataille de Halima et celle où Romanus[1] fut vaincu à Kordj.

a82 142. — Leur général était tremblant d'effroi devant les ravages du bey ; son cœur était rempli de crainte et de colère.

A83 *Ces nouvelles volèrent dans le monde entier ; nous les apprîmes à Amdoudjât[2], au-delà de Gabès,*

A84 *à notre retour du pèlerinage. Quel bonheur, nous écriâmes-nous ! Pèlerinage un vendredi, guerre sainte ensuite.*

a86 143. — Pendant plusieurs mois la guerre eût des chances diverses ; l'étoile du bey, en se levant, plongea l'ennemi dans le malheur.

144. — Après des négociations, ils demandèrent la paix et obtinrent l'*amân* pour leurs biens et leurs personnes.

---

(1) Romain IV, dit Diogène, empereur d'Orient (1070), vaincu par le Seldjouquide Alp Arslân.

(2) Amdoudjât, île de la Méditerranée, Comm. A. Probablement Lampedusa.

a88 145. — Leur séjour dans cette place avait duré 63 ans ; de toute éternité, ce laps avait été écrit sur les feuillets du destin.

a89 146. — Ils détruisirent leurs maisons de leurs propres mains[1] ; que cela vous serve de leçon, ô hommes clairvoyants et au sens droit.

a90 147. — Avant eux les Benou Nadir avaient agi de même, comme le dit la sourat Hacher[2] ; comment les Chrétiens peuvent-ils imiter l'action des Juifs.

a85 148. — Ils ont abouti à la destruction complète en suivant l'exemple de ce qui était arrivé à Djerba et à Tunis.

a91 149. — Les Chrétiens d'Oran ont laissé leur ville en ruines ; louange à Dieu qui nous a mis à l'abri des surprises[3].

---

(1) Après la reddition d'Oran, un grand incendie éclata dans la ville ; le Commandant de Santa-Cruz, croyant que c'était le résultat d'un ordre du Gouverneur pour la destruction des approvisionnements, contrairement à la capitulation, fit mettre le feu dans son fort. Le Gouverneur l'avait fait arrêter ; mais le bey Mohammed ayant connu les circonstances de cet incident, demanda et obtint la grâce de cet officier.

(2) Coran LIX, 2.

(3) Les Musulmans, en voyant l'incendie, redoutaient des explosions de mines.

A92 150. — Grâce à Abou-Otmân et à Otmân[1] qui nous ont rendu de quoi nous consoler de la perte de l'Espagne.

A93 151. — Dieu a lancé notre prince contre les Chrétiens, comme pourrait être lancée une flèche sans le secours d'un arc.

152. — Il avait établi autour des ennemis toutes sortes d'embûches, en employant la ruse, l'astuce, les explorateurs et les espions.

A94 153. — Il a purifié la forteresse de leur immense souillure. Ces hommes ignobles ont été humiliés et renversés.

154. — *Grâce au culte du Dieu unique*, la contrée d'Oran s'est élevée sur ses coteaux purifiés du polythéisme[2].

155. — Grâce à l'homme fortuné qui n'a pas son égal, grâce à cette vaste intelligence qui me dispense d'en dire plus long.

A95 156. — Grâce à celui qui a pris pour manteau la décision et l'audace ; quand il a appliqué le remède, aucune rechûte n'est à craindre.

A96 157. — Il a effacé les blasphèmes écrits par les partisans de l'incarnation : il a affermi le culte du Dieu unique qui est devenu éternel comme un habous.

(1) Le bey et son fils Otmân.

(2) حيس mélange de lait caillé et de dattes. C'est ici un symbole pour représenter le polythéisme.

b[131] 158. — Le Merdjadjou et les autres forts n'ont pu préserver Oran, pas plus que ses troupes couvertes de cuirasses et de boucliers.

a[97] 159. — Le Bey s'est élevé à une hauteur d'où il peut discerner le vrai du faux : le Gouverneur d'Oran a été abaissé dans la confusion.

A[98] 160. — Il n'est pas étonnant que le Bey soit arrivé à une grandeur que personne autre n'a atteinte, car son origine elle-même était entourée de grandeur.

A[99] 161. — Parmi ses aïeux, il y avait des émirs et des chefs ; leurs racines ne se sont jamais desséchées.

a[100] 162. — Règne longtemps sur le pays dont tu es chargé ; la terre de ton bonheur est verdoyante et tendre.

163. — Il a chassé l'avarice et la discorde ; il les a changées en générosité et bonne harmonie.

a[101] 164. — Tandis que le culte du Dieu unique entrait souriant et gai dans la ville, la trinité la quittait dans la confusion.

A[102] 165. — Les mécréants l'avaient tellement maltraitée que le regard attristé n'y voyait plus un ami.

A[103] 166. — Nos mosquées ont été relevées et les églises détruites ; notre appel à la vraie prière a fait taire les cloches.

a[104] 167. — Suivant le dire menteur de leurs évêques, Dieu avait donné une éternelle durée à leurs écoles qui ne devaient jamais disparaître.

a[105] 168. — Le sublime islamisme a fait disparaître tous les emblèmes qui étaient à Oran ; bon ou mauvais, il a tout chassé.

a[106] B[132] 169. — La voilà florissante ! Ses campagnes sont parfumées ; ses vêtements aux riches couleurs sont teints avec le wars.

a[107] b[133] 170. — Le danger caché des filets du polythéisme n'existe plus ; l'infidélité s'est enfoncée dans les profondeurs du tombeau.

a[108] B[134] 171. — Le maître des mondes a rendu Oran florissante ; le flambeau de l'Islam y brille comme une flamme ardente.

A[109] b[135] 172. — Après un long silence, elle a proclamé l'unité de Dieu ; elle n'est plus affligée de surdité ni de mutisme.

a[110] 173. — Toute glorieuse de notre émir Mohammed, elle s'avance en s'inclinant et balançant gracieusement ses hanches.

A[111] 174. — Quant à lui, son éclat est celui d'un jour frais et pur ; à la tête de son armée, il semble la lune entourée de son halo[1].

---

(1) Au goût de Bou-Ras, ce vers est un des plus beaux qu'il fut possible de faire en l'honneur du bey.

a112 175. — Ses étendards planent dans l'air comme des aigles ; autour d'eux sont les lances qui les défendent comme des flammes ardentes.

A113 176. — Dans l'avenir, la fortune lui sourira toujours, de même que son étoile brillera toujours sans s'éteindre.

177. — Tout lui obéit et suit ses désirs ; le bonheur est attaché à son étendard comme la feuille de papier à la main qui écrit.

A115 178. — Grâce à l'aide du très saint Maître (Allah), notre entrée eût lieu le lundi matin, cinquième jour de redjeb l'unique

a116 179. — de la sixième année du treizième siècle. Louanges à notre Créateur ! Que la plus pure des bénédictions soit sur le Prophète pur de toute souillure[1].

A117 180. — Que Gabriel l'abreuve à la source du Fardoûs, à l'aide d'un vase d'or dont le fond exhale le parfum d'un vin exquis[2].

A118 181. — Ainsi que ses compagnons que nous ne pourrions payer, eussions-nous un volume d'or comme la colline de Ohod, ou même cinq fois plus.

---

(1) Abou-Bekr a dit que le Prophète était tellement pur que ses vêtements n'étaient jamais sales ; les mouches ne se posaient pas sur lui ; les personnes et les choses se parfumaient à son contact. Comm. C.

(2) Allusion au Coran XXXIII, 26, Comm. C.